

## العرب السنة بين العنف أو الانخراط في الحياة السياسية الجديدة

علي حسين صالح

2005/7/1

يعرف العراقيون جميعا بأن العرب السنة كانوا في برج الزهو والرفاهية ناهيك عن السلطة التي كانت محتكرة لهم منذ أكثر من ثمانين عاما وخاصة بعد انقلاب شباط عام 1963، حيث برز منهم سياسيون و ضباط كبار و رجال قانون ودولة لهم باع طويل في إدارة شؤون الدولة وسياساتها ، حيث غابت الديمقراطية عن البلاد طيلة تلك الفترة و امتدت يد الدكتاتورية حتى إلى الشؤون الخاصة للأفراد فأزالوا كلمة( لا ) في قاموسهم ، وبذلك عاثت في العراق فسادا لا مثيل له فانتهكت القيم الأخلاقية والشرائع السماوية بالإضافة إلى القوانين المحلية والدولية بشكل يعجز عن وصفه اللسان ، فسفكت دماء مئات الآلاف من العراقيين كوردا وشيعة دون وازع من ضمير. الكل يعلم بأن شعبنا الكوردي أصبح حقلا جيدا لأجراء أشع الاختبارات للأسلحة الفتاكة و المحرمة دوليا إضافة إلى ممارسة الحرب النفسية ضده لتعطيم بنيته الفكرية وكرامته الشخصية إضافة إلى تجريده من ممتلكاته الصغيرة والكبيرة ، فتلك المظالم الكبيرة أصبحت لطفة عار في جبين الإنسانية والقوى الكبرى في العالم فمن لا يدرى بعمليات الأنفال و الترحيل القسري وانتهاك الحرمات و الإبادة الجماعية والإعدامات المستمرة و تغيير القومية و الاعتقالات الموسمية المستمرة و جرائم أخرى كحرب الثمان سنوات ضد الجارة إيران واحتلال دولة الكويت و بالمقابل تنازلاته لإيران عام 1975 والتي أصبحت إحدى أهم مسببات الحرب جميعها . فالشعب العراقي اختبرها جيدا كوردا وشيعة ناهيك عن الحروب الداخلية ضدها . كل هذا و العالم الخارجي يتفرج ساكنا بل كان يجد لها المبررات التي لا معنى لها حتى أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2001 حيث انعكست الآية فدارت عليه الدوائر وجرى ما جرى في آذار 2003 وانهار النظام الدكتاتوري نتيجة ظروف دولية خاصة وداخلية موقوتة و محصلتها النهائية سقوط الدكتاتورية و تحرير الشعب العراقي بمساندة قوى التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية . وهنا تفتحت أمام العراقيين حياة جديدة تحمل في طياتها نسيم الديمقراطية و آفاق المستقبل فأول مرة تجرى في البلاد انتخابات حرة و ديمقراطية و تمارس الأحزاب نشاطاتها السياسية دون رقيب و اشتركت في الانتخابات العامة كقائمة التحالف الكوردستاني والأنتلاف الشيعي كاقوى قائمتين . أما العرب السنة فقاطعوا الانتخابات إلا في نطاق ضيق جدا وبان عليهم الارتباك في تصريحاتهم و تصرفاتهم و يبدو أنهم كانوا تحت تأثير المخدر السلطوي حيث كان سابقا متسمنين مقاليد السلطة ولكن دون إرادة و تفكير أو قرار ذاتي بل كانوا أشبه ما يكون بألة طائفة تحت أوامر وإرادة الدكتاتور فضلوا الطريق الصحيح رغم وجود مفكرين بارعين فيهم ، فاخترأوا طريق الارهاب تحت ذريعة طرد المحتل الذي اتى به صدام حسين نفسه تعنته و تصرفاته وسلوكهم هذا لا جدوى ورائه أي الارهاب . و يبدو الآن إنهم عاد إليهم بعض وعيهم و الذي يؤكداه الطرف الكوردستاني و يدعوهم إلى خيار السلام و الانخراط في الحياة السياسية العراقية و اقرار الدستور الدائم علما إن الانتخابات القادمة باتت قريبة و استجابتهم لمبادرة و دعوة رئيس جمهورية العراق الأستاذ جلال الطالباني لدخولهم معترك السياسة من أبوابها الصحيحة و حل المشكلات على مائدة المفاوضات و وضع خارطة طريق ناضجة لحل جميع مشاكل العراقيين العالقة و اختيار المسلك الصحيح بنبذ العنف و التطرف الذي يعبر عن ترسبات وممارسات النظام السابق. عند خيار هذا المسلك يمكن إيجاد حلول مناسبة لجميع المشاكل على الساحة العراقية ، و يجب أن لا يغيب عن البال بأن العرب السنة الذين اختاروا معارضة الأمر الواقع كانوا جميعا آلة طائفة بيد نفر ضال تسلطوا على رقاب الشعب العراقي و هدر خيراتهم دون رقيب . و لا أنكر أن تسنم الكثير منهم لبعض مقاليد السلطة في عهد الدكتاتورية جعل هاجس الخوف المقيت كابوسا يخيم عليهم في زمن

الدكتاتورية نفسها مهما ارتقت مناصبهم فالكل يرهبون منه ومن شلته و كأنهم ينتظرون موعدهم المشؤوم ، فإعدام أقرب المقربين منه خير دليل على ذلك . و من الغريب أن الكثير من هؤلاء العرب السنة لا يزالون يسيرون وراء السراب و على أقل تقدير هذا ما أتصوره ، كما يجب أن يعلموا بأن التاريخ لا يعيد نفسه باستمرارهم على مسلكهم السلبي هذا يقدمون قدرا كبيرا من الخدمة إلى العرب الشيعة الذين قد يستفزونهم كي يبتعدوا أكثر عن الساحة السياسية في البلاد. و يبدو أن البعض منهم باتوا يدركون الآن أنه من الخطأ السير وراء الخطأ فالتزامهم الشهيرة لفورياتشوف ( العمل بالممكن وخارجه مفاخرة ) ، وكذلك من الخطأ أيضا السباحة ضد التيار وإنما السباحة مع التيار والعمل من خلاله لصالحهم . كما يجب أن يشكروا ربهم الذي أنقذهم من مجمل خطاياهم ضد الكرد والشيعة مالمتي كانت ترتكب بإسمهم وعلى أقل تقدير كانوا مآكنة الآلة الحربية والقمعية للدكتاتور . ومن خلال البعد الفكري و التصور الذهني يدرك الانسان أهمية تقييم الوضع السياسي والاجتماعي في فترة زمنية معينة ثم التصرف دفعتها لمصلحتهم فلينظروا كيف أن السيد إبراهيم الجعفري رئيس الوزراء الحالي يماطل في تطبيق القوانين و الاتفاقيات الموقعة من جميع الأطراف الشيعية و الكوردستانية و غيرها لأجل الاستفادة من التأخير الزمني لفرض تغييره من موضوع قانوني إلى موضوع سياسي قابل للمنافسة و التأويل . فتصرفاته تناقض تصريحاته السابقة قبل استلام رئاسة الوزراء و من الطبيعي أن هذا ما لا يقبله الشعب و لا يخدم مصلحة العراقيين جميعا . و مما سبق نستنتج أنه من مصلحة العرب السنة إضافة إلى مصلحة جميع العراقيين أن يلبوا دعوة مام جلال الجادة و يأخذوا موقعهم ويغنوا الدستور بما لديهم من توجهات وآراء .